

الجُمْل الدَعَائِيَّة التي لا يُراد بها الطلْب في صحيح البخاري ومسلم

د. عبد المنعم عثمان صبير

رئيس قسم اللغة العربية بالمركز القومي للمناهج والبحث التربوي
بيخت الرضا بالسودان سابقاً.

د. صالح محبوب فُجْد التَّنْقَارِي

رئيس وحدة الشؤون العالمية بكلية اللغات والإدارة بالجامعة الإسلامية
العالمية في ماليزيا.

Abstract

This research sought through the analytical descriptive method to define the supplications phrases that are not only meant to be used for supplication, but also for other purposes, the research has shed light on these phrases which are mentioned in *the book of Alsaheihaien by Imam Albukhari and Imam Muslim*, these supplications phrases were linguistically explained, furthermore ambiguities and confusions surrounding it were clarified. The research discovered that these supplication phrases were widely used by the ancient Arabs, and its content differs from its appearance. Among the results of this research is that: These types of sentences should be explained based on the context and

clues surrounding the text in which it was presented. The need to understand these words and their apparent appearance and to know it uses and evolution. The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) did not recite du'aa against his companions, some phrases like: "May your mother be bereaved of you", "may God kill you", "*uqraa hulqa*", and other similar terms are customary practice of the ancient Arabs.

Keywords: Supplications Phrases, the demand, the book of Alsaheihaien by Imam Albukhari and Imam Muslim, May your mother be bereaved of you and other similar terms.

مُقَدِّمَةٌ:

المتأمل في اللغة العربيّة يجد أنّ لها ضروباً، وأفانين في إخراج المفردات والتراكيب، وذلك لما تتميز به هذه اللغة من ثراء. وقد لاحظ الباحثان أنّ هنالك جُملاً، وعبارات واضحة المعنى، تقابلها جملاً مبركة؛ لأنّ ظاهرها قد يُوحى للقارئ بمعنى مغاير لما هو مقصود منها. وأوضح ما يمثل ذلك الجُمْل الدعائية التي قد يُراد بها الخير أو الشرّ، والفيصل في ذلك السياق الذي يُؤدّي دوراً فعالاً في شرح الكلام، وإزالة ما فيه من لبسٍ وغموض. فورود هذا الضرب من الجُمْل الدعائية، وما يجري مجراها في حاجة ماسّة إلى تفسير وشرح. وإذا ما ارتبط الأمر بالسُّنة النبويّة الشريفة التي ترد في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم تزداد الحاجة إلى فكّ ذلك الغموض؛ ليكون المسلم على بيّنة من المراد بحديث الرسول ﷺ وما يرمي إليه من دلالات.

ويُلاحظ أنّ هنالك كثيراً من العبارات والجُمْل الواردة في بعض الأحاديث النَّبويّة يشقّ على المسلم فهمها إذ ظاهرها ليس هو المراد، وفهم تلك الجُمْل يحتاج إلى معرفة رشيدة بالسياق، وما يكتنفه أو يحيط به من ملاحظات، فمثلاً عبارات نحو: لا أبأ لك، وثكلتك أمك، وويح لك، وغيرها. ظاهرها دعاء

على الشخص. فهل هذا ما يرمي إليه الرسول عليه السلام، حاشا وكلاً، فهو منزّه عن فاحش القول. إذًا لمثل هذا النوع من العبارات دلالات أخرى تستنبط من السياق، مع فهم لعادات العرب، وتقاليدها وجريان الكلام على سنن ارتضوها، وتوارثوها منذ قديم الزمان.

بناءً على ما سبق ذكره تولدت أو انبثقت فكرة هذا البحث التي تهدف إلى إلقاء الضوء على الجُمْل الدَعَائِيَّة التي لا يُراد بها الطلب في صحيح البخاري ومسلم بوصفهما أصحّ كتابين بعد القرآن الكريم. ولضيق المساحة المعطاة لهذا سيكتفي الباحثان ببعض العبارات والجُمْل التي سيكون شرحها نموذجًا، وتبيانًا لغيرها لمن أراد فهم ما يماثلها من جُمْل وعبارات.

سيسير الباحثان على حُطى المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء أو تتبع ما ورد من بعض الجُمْل الدَعَائِيَّة التي لا يُراد بها وقوع الطلب في الصحيحين، ومن ثم تحليلها؛ للوقوف على المراد منها. وتتلخص الخطوات فيما يلي:

1. أخذ العبارة أو الجملة المقصودة بالفحص من أحد الصحيحين، وليس بالضرورة ورودها في الإثنين معاً.
2. توضيح المعنى اللغوي لما تمّ اختياره.
3. الاعتماد على الشروح الموثوق بها، كشروح العلماء على الصحيحين؛ فضلاً عن الرجوع إلى كُتب اللغة التي وردت فيها ما نبتغي شرحه.
4. إبداء رأي الباحثين متى ما دعت الضرورة إلى ذلك.

وجدير بالذكر لم يقف الباحثان - في حدود طاقتهما - على بحث يحمل عنواناً ما ينويان القيام به، باستثناء بحث قصير جداً يتقاطع مع البحث الحالي في بعض العبارات التي ارتكز عليها، وهو للباحث فاروق مواسي، بعنوان: تعابير تفهم حسب القرائن. وضرب لها مثلاً ب: ثكلتك أمك، ولا أبا لك، وتربت

يداك. وقد شرحها شرحاً لغوياً دون إسهاب، فضلاً عن أشتات متفرقة وردت في ثنايا بعض البحوث.

ونسباً لأنّ السياق هو المفتاح، أو الجسر الرئيس لفهم الجمل الدعائية التي لا يُراد بها الطلب، كان لزاماً أن نلقي الضوء على السياق قبيل تناول تلك الجمل.

السياق لغةً: أشارت معظم المعاجم العربية القديمة إلى أصل كلمة (السياق) بأنّها من مادة (س، و، ق)، والأصل سِوَاق قُلبت الواو ياءً لكسرة السين. ونكتفي بالإشارة إلى لسان العرب الذي ورد فيه، فضلاً عمّا سبق: السوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً، وسياًقاً، وهو سائق، وسوّاق شدّد للمبالغة، وقد انسأقت الإبل، وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة، ومتساوقة، وساق إليها الصداق والمهر سياًقاً وأساقه، وإن كا دراهم ودنانير؛ لأنّ أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار، وغيرها.¹

وهذا المعنى اللغوي الذي أثبتته ابن منظور هو نفسه ما نجده في بقية المعاجم، إذ اتفقوا على أنّ السياق لغةً هو التابع والاتصال، ومن ثمّ نُقل هذا المعنى اللغوي إلى علوم أخرى، مثل: علوم القرآن والحديث، وعلم أصول الفقه. وقد أشار الباحثون إلى أنّ الشافعي استخدم كلمة (السياق) في أحد عناوانته: (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه)² ومراده يتّضح المقصود من الكلمة بناءً على ما سبقها وما بعدها. وكذلك نجد المصطلح (السياق) مستخدماً عند الجرجاني وغيره. ولكنّ السؤال ما السياق؟

وقد تولّى إبراهيم أصبان في مقالة له بعنوان: السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة³. الإجابة عن السؤال السابق ذاكراً بأنّ السياق من المصطلحات العصبية على التحديد الدقيق مُستشهداً بقول طه عبد الرحمن: (بأنّه بحث في كثير من المقالات من أجل العثور على تعريف للسياق، ولم يجد تعريفاً

محددًا له). وعضد أصبان هذا الرأي بقول صرح به جون لا ينز: (لا يمكن إعطاء جواب بسيط عن السؤال: ما السياق؟⁴ نفهم ممَّا سبق عجز كثير من الباحثين عن تحديد تعريف جامع مانع للسياق، ومع ذلك تبني البحث الحالي تعريفًا للسياق، وجدَّ فيه تناسبًا، وإيفاءً بالعرض الذي يهدف إليه، وهو شرح الجمل الدعائية التي لا يُراد بها وقوع الطلب. وهذا التعريف منسوب إلى الباحث الألماني أولمان⁵: (كلمة (contextual) قد استعملت حديثاً في معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهَمُّ مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي النظم اللفظي بأوسع معاني هذه العبارة، فالسياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة كلّها، والكتاب كلّه. كما ينبغي أن يشمل - بوجه من الوجوه كلّ ما يتصل بالكلمة من ظروف، وملابسات، والعناصر اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة).

والتأمل في ما أثبتناه في الفقرة السابقة من قول الكاتب أولمان يجده لم يخرج كثيراً عمّا قرره علماء البلاغة بقولهم: لكلّ مقام مقال. نخلص إلى أنّ السياق متعلّق بالكلام ككلّ سابقه ولاحقه، وما يُحيط به من ظروف وملابسات، وما يتعلق بالمتكلم والمخاطب، وجملة القول هو جميع ما يتعلق بالنصّ من القرائن اللفظية والحالية. وبهذا المفهوم الواسع للسياق سنعمل جاهدين على شرح الجمل الدعائية التي لا يُراد بها وقوع الأمر في الصحيحين.

ونختم القول عن السياق بالإشارة إلى أنّ السياق ينقسم إلى قسمين:

1- السياق اللغويّ

ويقصد به بناءً على قول حماسة: (هو الذي يعتمد على عناصر لغوية في النصّ من ذكر جملة سابقة أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها يحول مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير معروفة له).⁶

ويلاحظ أنّ ما تفضل به حماسة فيه إيضاح لما ذكره أولمان فاللغوي يبحث عن المعنى الدلالي من خلال التشابك، أو العلاقات الحادثة بين الألفاظ

بعضها بعضاً، وما ينتج عن ذلك من دلالات. ولنحصل على دلالة لغوية جيدة نقود إلى دلالة واضحة اشتراطوا شروطاً ينبغي توفرها في السياق أشارت إليها نادية النجار، وسنشير إليها بإشارات مختصرة، وهي:⁷

أ- اختيار اللفظ. ب- حسن ترتيب الألفاظ. ج- حسن اختيار الصيغ الصرفية المناسبة. د- تفاعل اللفظ مع غيره من الألفاظ.

2- سياق الحال

ويقصد به العناصر غير اللغوية، وهو ما عناه البلاغيون بالمقام، ولا شك أنّ للمقام دوراً لا يُستهان به في الوصول إلى المعنى، وهو يشمل بدوره المتكلم، وما يقوم به من لغة الجسد، بالإشارة بأعضاء الجسد المختلفة. وهذا تجده كثيراً في الأحاديث النبوية. عن المستورد بن شدّاد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الدنيا في الآخرة إلاّ كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بما يرجع". وأشار بالسبابة. رواه أحمد. وكذلك السامع، وما يعكسه على الرسالة والمتكلم من أثر، وكذلك الجوّ أو البيئة المحيطة بالنصّ. وكذلك ضرورة الوقوف على عادات العرب وتقاليدهم، والطريقة التي يتبعونها عند إجراء كلامهم. جملة القول كلّ ما سبق الإشارة إليه سيكون هادياً لنا ومرشداً فيما سنتناوله في الصفحات التالية من الجُمْل الدعائية التي لا يُراد بها وقوع الطلب.

3- رغم أنفه

قال ابن فارس: الرّغام هو التراب، ومنه أرغم الله أنفه، أي ألصقه بالرّغام هذا هو الأصل.⁸

واضح أنّ العبارة تحمل معنى الدّم، إذ يعني ظاهرها كبّه الله على وجهه. ولكن كيف يتمّ تخريج هذه العبارة عندما وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطباً الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري. قال عليه السلام: "ما من عبد قال لا إله إلاّ الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". قُلْتُ: وإن زني، وإن سرق؟ قال: "وإن زني وإن سرق على رغم أنف أبي ذر"⁹

بالنظر إلى السِّيَاق اللغويّ، والموقف الذي قيلت فيه هذه العبارة يستشفّ القارئ أنّ العبارة ليست مطلقة، إذ لا يعقل أن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم على أحد من صحابته، فهي مقيدة الحدوث بذاك الذي لا يُدعن لقول الرسول عليه السلام، ففي هذه الحالة يكون المقصود برغم أنه أي لصق بالتراب كناية عن الذلّ والهوان. فاستفسار أبي ذر نابع من قوة إيمانه، واستبعاده للنفو عن الزاني والسارق. واختصر بكر أبو زيد القول، بقوله: رغم أنه أي ألصقه بالتراب، وقد جرت عادة العرب بإطلاق هذه اللفظة دون إرادة حقيقة الدعاء بها للمدعو عليه.¹⁰

4- تربت يداك، تَرَبَّتْ أوتَرَبَ جبينه

نلاحظ أنّ هذه العبارات فيها غلظة وجفاء، فهل المقصود هو المعنى الظاهريّ؟ قال ابن الأثير: " تَرَبَّ الرجل إذا افتقر، أي لَصِقَ بالتراب... إلى أن انتهى به القول: (وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به، كما يقولون: قاتله الله)¹¹. ففي حديث الرسول ﷺ: "تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"¹².

ففي الحديث حتّى على الزواج من ذات الدين، ولا يمكن أن يكون المقصود ظاهر المعنى، وهو الدعاء على الرجل، بل هو دعاء له، وهو يُعَدّ من العبارات الجارية على ألسنة العرب، وهم يقصدون بها معنى إيجابياً، وتوجيهه ينزل بك الفقر عقوبةً إنّ تعديت ذات الدين إلى ذات المال، أو الحسب، أو الجمال. ويقوي هذا المعنى ما ورد في أحاديث أخرى: "ماله تَرَبَّ جبينه"¹³ وهي عبارة تُقال عند المعْتَبَةِ، وردت على لسان الرسول عليه السلام اقتفاءً لسنن العربية في الكلام، ولم يكن عليه السلام فاحشاً ولا بذيئاً. ومن العجب أن نجد ما يقابل هذه العبارات في العامية في معظم البلاد العربية، مثل: يخرب عقلك، يالك من شقي، ويا شيطان، فهي لا ترمي إلى الدعاء على الشخص، بل هي من باب

المداعبة أو التعجب.

ونختم القول عن هذه العبارة بما قاله النووي في شرح صحيح مسلم: (كلمة أصلها افتقرت، ولكن العرب اعتادت استعمالها غير قاصدة معناها الأصلي، فيذكرون تربت يداك، وقاتله الله... يقولونها عند إنكار الشيء أو الزجر عنه...).¹⁴

يُتَّضح مما سبق الحثُّ على صاحبة الدين، وعبارة تربت يداك جواب لشرط مقدر أي إذ خالفت القول، واخترت ذات الجمال أو الحسب، فقد افتقرت فهي خبرية لفظاً طلبية دعائية معني لكن لا يُراد بها الدعاء- كما سبق القول- بل المراد الحثُّ على ذات الدين.

5- ثكلتك أمك

قال ابن فارس: الثاء، والكاف، واللام كلمة واحدة تدلُّ على فقدان الشيء، وكأنته يختصُّ بذلك فُقدانُ الولد. يُقال ثكلته أمه ثكلته ثكلاً...¹⁵ نعلم أنّ معنى الكلمة مرهون بدورانها، وتقلبها في سياق التركيب اللُّغوي، ولا يمكننا الاعتماد فقط على التركيب اللغوي منفرداً، بل لا بدّ من معرفة ما يحيط به من ظروف بيئية، وما يتعلق بالمتكلم والمخاطب، والرسالة نفسها، وموقف العربيّة أو أهلها من الأنماط اللغوية المختلفة. فعبارة (ثكلتك أمك) تكاد تحكي عن نفسها بكاءً ونحيباً من الأم على فقدان فلذة كبدها، هذا هو معناها خارج السياق، ولكن انظر إلى قوله عليه السلام لمعاذ: "...ألا أخبرك بملاك ذلك كله. قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: فأخذ بلسانه. قال: كفت عليك هذا. فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخدون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ؛ وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم... إلا حصائدُ ألسنتهم"¹⁶.

ولا يمكن أن يظنَّ عاقلٌ أنّ الرسول ﷺ يريد أن يسبَّ أو يشتم معاذاً، وحاشا أن يفعل عليه السلام ذلك، وهو الموصوف بقوله تعالى: "وإنك لعلى خُلق عظيم" القلم، 4. فهذا القول خرج من باب الدّم والشتيم إلى التنبيه وهذا

شبيه بما يُعرف في اللسانيات الحديثة بالانزياح اللغويّ أي التّحول عن الأصل، فكثرة الاستعمال لهذه العبارة جعلها ذات دلالة مختلفة عن المستوى المعجمي، فضلاً عمّا أثبتناه من قبل من جريان اللسان العربي بها، والعرب لا يقصدون معناها الحقيقي، بل أخرجوها مخرجاً آخر، وهو التنبيه.

ومّا ورد في صحيح مسلم: (باب تحريم الكلام في الصلاة) من حديث طويل لمعاوية بن الحكم. قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ ... ولما صلّى رسول الله ﷺ قال: "إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنّما هو التسييح، والتكبير، وقراءة القرآن"¹⁷. يفهم من الحديث لفت أنظار الصحابة إلى عدم جواز الكلام في أثناء الصلاة، ولم يتوقف عليه السلام عند عبارة "واثكل أمياه"؛ لأنّه يعرف، وهو الذي أعطى جوامع الكلم العربيّ القرشيّ أنّها ممّا جرى على لسان العرب، ولا يقصد بها الذم، بل هو التنبيه.

6- عقريّ حلقيّ

قال ابن فارس: قال الخليل: يقال في الشتيمة: عقراً له وجدعاً. ويقال للمرأة حلقيّ عقريّ. وعقرها الله أي عقر جسدها وحلقها أي أصابها بوجع في حلقها. وقال قومٌ: توصف بالشؤم، أي إنّها تحلق قومها وتعقرهم. ومّا جاء في الشّعر:

ألا قومي أولو عقريّ وحلقيّ لما لاقت سلاماً بنُ غنم

يعني قومي أولو نساء عقريّ وحلقيّ أي قد عقرن وجوههن، وحلقن شعورهن متسلبات على وجوههن. واضح أنّ العبارة تعني الشؤم. ولكن نتساءل ما المراد منها في حديث عائشة ؓ الآتي: عن عائشة ؓ، خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا نرى إلا أنّه الحجّ، فلما قدمنا تطوّفنا بالبيت، فأمر النبي ﷺ من لم يكن ساق الهدى أن يجلّ، فحلّ من لم يكن ساق الهدى، ونساؤه لم يسقن

فأحللن، قالت عائشة رضي الله عنها: فحضت فلم أطف بالبيت، فلما كانت ليلة الحصبة، قلت يا رسول الله، يرجع الناس بعمرة وحجة، وأرجع أنا بحجة، قال: "وما طفت ليالي مكة". قلت لا، قال: "فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم..." قالت صفية: ما أراي إلا حابستهم، قال: "عقرى حلقي، أو ما طفت يوم النحر". قالت: قلت: بلى، قال: لا بأس انفري"¹⁸.

إجابة عن السؤال أعلاه نشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"¹⁹. أي لعياله، وأزواجه فعليه السلام كان لطيفاً معهن؛ لأنه على خلق عظيم. فعليه تُخرَج عبارة: (عقرى حلقي) الواردة في الحديث أعلاه على أنها تعجب، واستنكار للحادثة التي سمعها الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس المراد الدم والشم، بل هي عبارة انفكت عن مدلولها المعجمي إلى دلالة أخرى كما جرت عادة العرب.

7- قاتله الله

يقال هذا اللفظ أو هذه العبارة في اللعن أصلاً، بدليل قوله تعالى: "قاتلهم الله أني يؤفكون" المنافقون(4). أي لعنهم الله. ولكن هذه العبارة وردت في سياقات لا تحمل اللعن والشم؛ لذا عملوا على تخريجها؛ لتناسب السياق الذي وقعت فيه، ومن ذلك قول العرب: قاتله الله ما أشعره! فقالوا: إن المراد بها التعجب.²⁰

ولا يقصد بها حقيقة الدعاء على المخاطب؛ لأن العرب قد تُطلق الكلمة، ولا يُراد بها ظاهرها. ومنه حديث معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه -قاتلك الله- فإتما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا" رواه الإمام أحمد، والترمذي. وأغلب الظن أنها تتعجب من سلوك بعض النساء مع أزواجهن، أو هي ترى أن اللعنة واقعة بها إذا آذت زوجها، فاللعن مشروط بارتكاب الجرم. وعلى ذلك يمكن تخريج الحديث الوارد في الصحيحين "...بلغ عمر بن الخطاب أن فلاناً باع

خمرًا، فقال: قاتل الله فلاناً لم يعلم أنّ رسول الله ﷺ قال: قاتل الله اليهود حُرِّمَتْ عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها".²¹

يتضح من السياق أنّ عمر رضي الله عنه لا يُريد حقيقة الدعاء على فلان الوارد في الحديث، وهو سمرة رضي الله عنه، بل خرج اللفظ منه مخرج كلام العرب فلا يُراد ظاهره، إنّما المقصود الزجر والمعاتبة، وإلى هذا القول ذهب ابن حجر.²²

وجدير بالذكر أنّ عبارة (قاتله الله) وما يشبهها لم ترد على لسان الرسول عليه السلام إلا والمقصود بما القتال حقيقة كقوله في اليهود: (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). فالمقصود ظاهر اللفظ أي قاتلهم، لأنّ (فاعل) يأتي بمعنى (فعل).

8- لا أبا لك

قال عنها الزمخشري: لا أبا لك ولا أمّ لك نفى أن يكون له أبٌ حرٌّ، أو أمٌّ حرّة، وهو المقرف والهجين المذمومان عندهم، ثم إستعمل في موضع الإستقصار والإستبطاء ونحو ذلك، والحثّ على ما ينافي حال الهجاء والمقارف.²³

يتّضح من المعنى اللغويّ الذي ساقه الزمخشري أنّ المعنى انتقل إلى دلالة أخرى، وهي الحثّ، وعدم الإعتماد على الغير. ونسمع في يومنا هذا بأن فلاناً نسيج وحده، أو أنّه أتى بما لم يأت به الأولون، أي لا مثيل له، فكذلك قول العرب: لا أبا لك يراد بها المدح، وقد أكّد الكفوي ذلك بقوله: ...هي كلمة مدح أي أنت شجاعٌ مستغنٍ عن أبٍ ينصرك،²⁴ وفي لغة العرب - كما سبق القول - أشياء يريدون منها باطناً خلاف الظاهر نحو قولك: للشاعر الجيّد: قاتله الله.

وقد وردت هذه العبارة - لا أبا لك - في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب مخاطباً مولى له: (يا هُئيّ؛ اضمم جَنَاحَكَ عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم، فإنّ دعوة المظلوم مستجابة... وإياي ونعم ابن عوفٍ... وإياي ونعم ابن عفان... فيقول: يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبا لك؟²⁵ فردّ هُئيّ على الخليفة

عمر رضي الله عنه بعبارة - لا أبال لك- عبارة جافة وغلظة، ولكن ليس المقصود ظاهرها، بل ما وراء هذا اللفظ، وهو أن يكون غافلاً عما أسند إليه من عملٍ. وما يعضد هذا القول ما أورده ابن الأثير: (سمع سليمان بن عبد الملك رجلاً من الأعراب في سنةٍ مجديّة يقول:

رب العباد مالنا وما لك قد كنت تسقينا فما بدّا لك

انزل علينا الغيث لا أبال لك

فحملة سليمان أحسن محمّلٍ، فقال: أشهد أنّ لا أبال له، ولا صاحبة،

ولا ولد.²⁶

أما مجيئها في قصيدة بانث سعاد:

فقلت خلّوا سبيلي لا أبال لكم فكلّ ماقدّر الرحمن مفعول

فخرجت عبارة -لا أبال لكم- مخرج الدعاء على المخاطبين؛ لأنهم لم يعينوا الشاعر على ما فيه من كربٍ ومحنة.

نخلص إلى أن عبارة - لا أبال لك- أكثر ما ترد في المدح، ويندر ورودها

في الذمّ والهجاء.

9- أخزاه الله

ورد هذا اللفظ في كثير من الأحاديث الصحيحة نكتفي بالإشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف، قال رجل: ما له أخزاه الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم".²⁷

فعبارة أخزاه الله يقصد بها أبعدُهُ ومقتُهُ، فالعبارة على الرغم من وضوحها، وانصرافها إلى اللعن والبعد عن رحمة الله إلا أنّ تعقيب الرسول عليه السلام عليها أخرجها إلى ميدان دلالي آخر، بقوله: "لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم". فالمسلم إذا ارتكب معصيةً، وسمع من أخيه المسلم قولاً، نحو: (أخزاه الله) يقطع رجاءه من رحمة الله، ويظنّ أن لا ملجأ يلجؤ إليه، فيصيرُ على

المعصية، ويتمادى فيها بسبب هذا الدعاء (أخزاه الله). ونستفيد من هذا الموقف رحمة رسول الله ﷺ بأمتته، إذ وجّه أصحابه، بقوله: (ولكن قولوا: اللهم اغفر له وارحمه).²⁸ وقد يظنُّ القارئ أنَّ ثمة تعارض بين هذا الحديث، والحديث الآخر الوارد في حقِّ شارب الخمر (...أنه لعن شارب الخمر وعاصرها ومعتصرها). تولى ابن بطال الرد بقوله ألا تعارض بين النصين، لأنَّ اللعن هنا موجه لأهل المعاصي الملازمين لها غير التائبين.²⁹ فعلى المسلم أن يتعد عن هذا النوع من العبارات، حتى وإن كان المقصود به مقترف الذنب لكيلا يقع في المحذور، وهو إغاثة الشيطان على مسلمٍ عاصٍ.

10- وَيَلْكَ

عبارة تعني في اللغة الهلاك.

وقد وردت في حديث للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اِعْدِلْ، قَالَ: (وَيْلِكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اُعْدِلْ).³⁰

فالعبرة مُوجَّهة إلى صحابيٍّ، وفي جمع من الصحابة رضوان الله عليهم وقد أشرنا سابقاً أنَّ عليه السلام لم يكن بذيئاً ولا لعاناً فعبارة (ويلك) في هذا السياق جَرَتْ على لسانه عليه السلام وفاقاً لكلام العرب كقولهم: قاتله الله. ويرى الباحثان ربما أراد عليه السلام زجر هذا الذي قال له (اعدل) فهو زجر من باب أدب الحديث مع المعلّم والمربي، وانعم به عليه السلام من مُعلّم ومربي! أما موقفه مع ذلك الرجل الآخر الذي رآه يسوق بدنة، فقال (اركبها) قال: إنَّها بدنة، قال: (اركبها) قال: إنها بَدَنَةٌ، قال: (اركبها ويلك).³¹

وجّه النووي عبارة (اركبها ويلك) بأنَّها تُقال لمن وقع في هلكة... أي تعب وجهد، وقيل إنَّها كلمة تجري على اللسان وتستعمل من غير قصد إلى ما وُضِعَتْ له أولاً، بل تُدَعَّمُ بحال العرب كلامها كقولهم: لا أمَّ له، ولا أب له.³²

ويميل الباحثان إلى أنّ المقصود أن الرسول عليه السلام لاحظ أنّ الرجل مُجهد ومُتعب، فأراد أن يزيل الأمتثال لأمره عليه السلام، طفق الأعرابي يراجع الرسول ويجادله، فاستعظم عليه السلام موقف هذا الرجل ممّا دفعه عليه السلام إلى زجره وهو زجر مملوء بالشفقة، ولا يمكن أن يكون فيه دعاء على الرجل المخاطب، وشواهد ذلك كثيرة كما مرّ علينا سابقاً.

وقد يكون المراد التشريع أي جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج

إليها.³³

11- مَالُهُ أَرَبٌ، أَوْ أَرَبٌ مَالُهُ

الأرب لغة هو الحاجة.

قال أبو أيوب إنّ رجلاً قال للنبي عليه السلام أخبرني بعمل يُدخلني الجنة؟ قال: (مَا لَهُ، مَا لَهُ) وقال النبي عليه السلام: (أَرَبٌ مَا لَهُ تَعَبُدُ اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ) وبالوقوف على السياق الذي وردت العبارة يتضح المقصود، إذ قال ابن الأثير: (إنّ رجلاً اعترض النبي عليه السلام؛ ليسأله، فصاح به الناس، فقال: (ادعو الرجل أرب ماله). فبناءً على ما سبق المقصود (أَرَبٌ) بفتح الهمزة والراء، وتنوين الموحدة مع الضم أي حاجة جاءت، وهو خبر مبتدأ محذوف... أي له حاجة يسيره دفعته لاعتراض الرّكب. وهذا القول لا لبس فيه ولاغموض، إنّما اللبس فيما أورده ابن قتيبة الذي ذكر رواية أخرى للأرب بكسر الراء وفتح الباء... فقال هو من الأراب، وهي الأعضاء، واحد أرب، ومنها قطعتة أرباً أرباً أي عضواً عضواً، قال: معنى قطعتة أرباً أرباً أي عضواً عضواً، وقال: ومعنى قوله أرب ماله أي سقطت أعضاؤه، وأصببت، وهي كلمة مقولة لا يراد بها وقوع الأمر.

يرى الباحثان وجاهة ما ذهب إليه ابن قتيبة من توجيهه للرواية الثانية، ولكن ما دام أنّ الحديث يحتمل الرواية الأولى ذات المعنى الواضح، فمن الأفضل الإعتماد عليها، لوضوحها وإيفائها بالعرض.

12- لا أشبع الله بطنه

تحتّم بهذه العبارة التي قيلت في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان (عن ابن عباس، قال كُنت ألعُبُ مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ... وقال: (اذهب وادعُ لي معاوية) قال: فجئتُ فقلتُ: هو يأكل، فقال: (لا أشبع الله بطنه).³⁴ فهذه العبارة واضحة أنّها دعاء على معاوية، ولكن بعض المؤرخين نظر إليها من زاوية أخرى، بل عدّوها، من مناقب معاوية، ومنهم الحافظ ابن كثير³⁵ الذي قال: وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه، فإنه صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول والله ما أشبع، وإنما أعيا، وهذه نعمة يرغب فيها كلُّ الملوك. أما في الآخرة فتتنزل على معاوية دعوتُه المباركة: (اللهم إنما أنا بشرٌ فأبما عبد سببته، أو جلدته، أو دعوتُ عليه، وليس لذلك أهلاً، فاجعل ذلك كفارةً وقريةً تقربه بما عندك يوم القيامة)³⁶.

الخاتمة:

قدّمنا فيما سبق من صفحاتٍ موضوعاً عن الجمل الدعائية التي لا يُراد بها وقوع الطلب أو الأمر متخذين من بعض العبارات التي وردت في أحاديث الرسول ﷺ - الصحيحة في صحيح البخاري ومسلم - مادةً لهذا البحث، ودخلنا بتوطئة تناولت السّياق ودوره في تحديد المعنى، وقد خلّص البحث إلى نتائج منها:

1. العبارات الواردة في الأحاديث النبوية ذات الدلالة المغايرة لظاهرها يجب أن تفهم في ثنايا السياقات التي وردت فيها.
2. لم يرد عن الرسول عليه السلام لعنٌ، أو دعاء صريح على أصحابه رضوان الله عليهم، بل كلّ ما ورد يقع تحت باب عبارات جرّت على ألسنة العرب لا يقصد بها حقيقتها نحو: لا أب لك، قاتلك الله، وأخزاه الله وغيرها.

3. سمو خُلِقَ الرسول عليه السلام، ومحبتة لأُمتِه إذ سأل الله عزّ وجلّ إذا صدر منه دعاء على مؤمن، وهذا الأخير لا يستحقّه أن يجعله له خيراً في دنياه، وآخرته.
- يجدر بالمسلم المحافظة على لسانه بالإبتعاد عن الشتم والسبّ، لأنّ عاقبتهما وخيمة.

الحواشي والهوامش

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، مادة (س و ق).
2. الشافعي، مُجَدِّد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد مُجَدِّد شاكِر، ص 62.
3. مجلة الإحياء، مجلة إلكترونية، www.alihyaa.ma، شوهدت في 25 أكتوبر 2018م.
4. المرجع السابق نفسه.
5. أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشاب، القاهرة، د ت، ص 57.
6. عبد اللطيف، مُجَدِّد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000م، ص 116.
7. النجار، نادية رمضان، اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، مراجعة عبدة الراجحي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية ط1، 2007م، ص 210 وما بعدها.
8. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج 2، ص 413-414.
9. صحيح البخاري، باب الثياب البيض، حديث رقم 5827.
10. أبوزيد، بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م، ص 599.
11. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُجَدِّد الطنجاوي، ج1، ص 148، باب التاء مع الراء، مادة (ت ر ب).
12. رواه البخاري 4802، ومسلم 1466.
13. صحيح البخاري 1318، حديث رقم 6031.
14. النووي، شرح صحيح مسلم، (3...).
15. مقاييس اللغة (383/1).
16. الترمذي، سنن الترمذي، الصفحة 2616، درجته حسن صحيح. استشهدنا بهذا الحديث على الرغم من أن لم يرد في الصحيحين، وحملنا على ذلك وضوح دلالاته فيما نحن بصدد الحديث عنه، فضلاً عن أنه حديث حسن وصحيح.
17. صحيح مسلم، (381/1) حديث رقم 33.
18. صحيح البخاري (2-141-142).

19. الألباني، مُجَّد ناصر، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، 1995م، رقم 284.
20. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 7/1. (إرشيف ملتقى أهل الحديث).
21. صحيح البخاري (82/3) رقم 2223، وصحيح مسلم كتاب المساقاة، رقم 1582.
22. ابن حجر، فتح الباري، (415/4).
23. الزمخشري، أبو القاسم محمود جار الله، دار المعرفة، لبنان، ط2، (336/3).
24. ابن حجر، فتح الباري (306 / 12).
25. البخاري، صحيح البخاري، 71 / 4.
26. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (19/1).
27. البخاري، صحيح البخاري، (159/8) رقم الحديث 6781.
28. البغوي، مُجَّد بن عز الدين، شرح مصابيح السنة، إدارة الثقافة الإسلامية، 2012م، (220/4-221)، حديث رقم: 2726.
29. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 2003م، (8-399).
30. صحيح البخاري (38/8)، 6163، وصحيح مسلم (740/2)، 142-10631.
31. صحيح البخاري، باب ما جاء في قول الرجل ويملك حديث رقم 6159، وصحيح مسلم كتاب الحج جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، رقم 1323.
32. شرح النووي على مسلم (74/9).
33. صحيح مسلم، المرجع السابق نفسه.
34. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة (4 / 2010)، 96.
35. ابن كثير، البداية والنهاية، (128/8).
36. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب 2، ص 2009، عن أنس بن مالك.